مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص113– ص135 يناير 2013
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

دليل العناية في إثبات وجود الله - تعالى -

د. محمد خليل محمد النويهي

أستاذ مساعد

محاضر غير متفرغ في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الشريعة – قسم أصول الدين - العقيدة

الأردن - عمان

ملخص: إن أهم مسالة من مسائل الاعتقاد هي مسألة إثبات وجود الله _ تعالى _، لذلك نجد أن علماء التوحيد اهتموا بهذه المسألة العقدية اهتماماً كبيراً فلا يكاد يخلو كتاب من كتب التوحيد إلا وقد بدأ صاحبه بهذه المسألة المهمة. لأجل ذلك فقد نصب الشارع الحكيم أدلة لإثبات وجوده سبحانه، وهي مبثوثة في كتاب الله _ تعالى _ وقد تحدث عنها كل من اشتغل بكتاب الله _ تعالى _ تفسيراً وتأويلاً، لذلك سأتحدث في دراستي هذه عن نوع واحد من هذه الأدلة ألا وهو دليل العناية في الكون.

Guardianship an Evidence of God

Abstract: The most important question in the matters of faith revolve round evidencing the 'existence' of God. This issue is clearly manifest in the significant efforts of scholars of monotheism; all works on this doctrine were initiated by this significant question. The Almighty God, the Wise Legislator, supply candid proofs of His Majesty throughout the Glorious Book. All scholars dealing with the Book dealt with the issue offering clear interpretation and candid clarification. This paper, therefore, deals with a particular type of evidence, namely the proof of Guardianship of the Universe.

مقدمة

إن من أعظم القضايا أن يتعرف العبد على ربه ويستيقن بوجوده وذلك ؛لأن إثبات وجود الله تعالى يترتب عليه كل القضايا العقدية فمن ثبت عنده وجود ربه نستطيع أن نثبت له بعد ذلك كمالات هذا الإله الذي ثبت عنده؛ لأنه من الجهالة بمكان أن نذهب لنثبت الوحدانية مثلاً عند من لم يعترف بوجود الله _ تعالى _ ، لذلك نجد أن علماءنا _ رحمهم الله تعالى _ كانوا يفتتحون كتبهم المصنفة[1] في التوحيد بإثبات وجود الله _ تعالى _ وما هذا إلا لعلمهم بأهمية هذه القضية العقدية.

وبالنظر لمنهج القرآن الكريم في إثبات هذه القضية العقدية نجده أنه قد اعتبر النظر العقلي في

---

(1) ومن الأمثلة على هذه الكتب كتاب(غاية المرام في علم الكلام/للآمدي) وكتاب(نهاية الإقدام في علم الكلام/للشهرستاني)وكتاب(شرح بدء الأمالي/للرازي) وغيرها كثير.

هذا الكون من السماوات والأرض من أعظم المصادر لعلمنا بوجود الصانع الحكيم لذلك نجد الآيات الكثيرة التي تحث على النظر في هذا الكون لنتوصل من خلال النظر فيه إلى إثبات وجود خالقه.

وقد تتعدد جهات النظر في الكون، وسأبحث في هذه الدراسة جهة من جهات النظر ألا وهي العناية في هذا الكون وما وُجِدت هذه العناية إلا لينتفع الإنسان من هذا الكون بحيث لو خلق الكون على خلاف ذلك لما انتفع منه الإنسان بل ربما أصبح مصدراً يهدد وجود هذا الإنسان على هذا الكون فدل خروج الكون على ما هو عليه على أن هناك إلهاً حكيماً أخرجه على هذه الصورة ليسخره إلى هذا الإنسان وهذا دليل على وجود من أتقنه.

فقد ناقش البحث هذا الدليل على وجود الله _ تعالى _ ، فإن العاقل عند نظره في هذا العالم يدرك أن في هذا العالم إتقان عجيب وعظيم يحار فيه أصحاب الألباب.

حيث قام الباحث بالوقوف على الآيات القرآنية التي أشارت إلى هذا الدليل وأقوال المفسرين حول هذه الآيات، وما هذا إلا توظيف لآيات القرآن الكريم في إثبات أعظم مسألة من مسآئل الاعتقاد ألا وهي مسألة إثبات وجود الله _ تبارك وتعالى _.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في الرد على أهل الزيغ والإلحاد الذين أنكروا وجود الله _ تعالى _ إما أصالة فلم يعترفوا بوجود إله قط، وإما أثبتوا صانعاً غير الله تعالى كقولهم بالطبائع والصدفة وغيرها من صنوف الكفر والإلحاد.

سيستخدم الباحث المنهج العلمي المتمثل في استقراء النصوص القرآنية ذات العلاقة بالبحث، ومن ثم القيام بذكر أقوال المفسرين حول هذه النصوص وتحليل هذه الأقوال والمقارنة والموازنة بينها.

تمهيد

بالنظر إلى القرآن الكريم وجدناه قد ذكر أدلة كثيرة على وجود الله _ تعالى _ ، فمن هذه الأدلة دليل الحدوث المشار إليه بقوله تعالى: (v w x y { | } * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ) [النحل:3-4]، فقد ذكر سبحانه وتعالى تقلب الإنسان من حال إلى حال وهذا هو عين الحدوث فإذا ثبت الحدوث للعالم وجب أن يكون له محدث.

ومن الأدلة كذلك دليل الخلق المشار إليه بقوله تعالى: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) [الطور:35]، فهل انتقلوا من العدم إلى الوجود من غير خالق.

ومن الأدلة كذلك دليل الإمكان في الكون المشار إليه بقوله تعالى: (قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين) [الملك:30]، أليس من الممكن أن يغوّر الله الماء في الأرض، فلا

يستطيع الناس له طلباً؟

ومن الأدلة دليل التغير والسببية المشار إليه بقوله تعالى: (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) [فاطر:11]، فلقد نبه القرآن الكريم على معنى التغير الدائم، القائم بكل شيء في هذا العالم، في كثير من الآيات الكريمة، التي تتضمن لفت النظر إلى وجود الله _ سبحانه _، وإلى صفة خلقه للأشياء، ومن الأدلة كذلك دليل العناية وهو موضوع البحث.

خطة البحث

وقد تكونت الدراسة من خمسة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: قول الله تعالى: ﴿ z } | { ~ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن © قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 185]، وإثبات وجود الله تعالى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معرفة وجود الله _ تعالى _ بين المدارس العقدية.

المطلب الثاني: آراء المفسرين حول الآية الكريمة.

المبحث الثاني: قول الله _ تعالى _: (X Y Z] \ [' _ ` a b c d e f) [يونس: 101]، وإثبات وجود الله _ تعالى _ ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير ابن جرير وأبي حيان وابن كثير للآية الكريمة.

المطلب الثاني: تفسير النسفي والزمخشري للآية الكريمة.

المبحث الثالث: قول الله تعالى: (h i j k l m n o p q r s t u w x y { | } ~) [غـــافر: 64]، وإثبات وجود الله _ تعالى _ ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير ابن جرير وابن كثير للآية الكريمة.

المطلب الثاني: وقفة مع الرازي والزمخشري، فيه أمران، وهما:

الأمر الأول: استدلال الرازي بقوله الله _ تعالى _: ﴿ 3 4 5 6 * 8 9 : ; ﴾ [الطارق: 5-6]، على إثبات وجود الله _ تعالى _.

الأمر الثاني: تفسير الزمخشري للآية الكريمة

المبحث الرابع: قول الله _ تعـالى _: (ٱلَّذِي جَعَلَ ´ µ ¶ ¸ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ

تَهۡتَدُونَ) ، [الزخرف:10] وإثبات وجود الله _ تعالى _ ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير الطبري للآية الكريمة.

المطلب الثاني: تفسير الرازي والزمخشري للآية الكريمة.

المبحث الخامس: قول الله _ تعالى _: (! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K) ، [البقرة:164] وإثبات وجود الله _ تعالى _ ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير أبي حيان والرازي للآية الكريمة.

المطلب الثاني: تفسير الزمخشري للآية الكريمة.

المبحث السادس: قول الله _ تعالى _: (x y z { | }) [الغاشية: 17]، وإثبات وجود الله _ تعالى _ ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير القرطبي وابن كثير للآية الكريمة.

المطلب الثاني: تفسير البيضاوي والزمخشري والقاسمي للآية الكريمة.

خاتمة

قائمة المراجع

المبحث الأول:

قول الله _ تعالى _: ﴿ z } | { ~ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن © قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 185]، وإثبات وجود الله _ تعالى _.

المطلب الأول: آراء المدارس العقدية في معرفة وجود الله _ تعالى _.

إن مسألة الإيمان بوجود الله _ تعالى _ مسألة في غاية الأهمية إذ تبنى عليها كل المسآئل العقدية الأخرى فهي كالأصل لكل ما عداها، لذلك نجد أن أَصحاب المدارس العقدية تحدثوا حول هذه المسألة، وكان حديثهم على النحو الآتي:

أولاً: أن وجوده تعالى أمر فطري قد فطر الله تعالى عباده عليه، وممن ذهب إلى هذا القول طائفتان، وهما:

الطائفة الأولى: ابن تيمية رحمه الله _ تعالى _ ومدرسته، حيث يقول: " إن فقر المخلوقات إلى الخالق ودلالتها له أمر فطري فطر الله عليه "(1).

الطائفة الثانية: المتصوفة، حيث نجد أن الكلاباذي يصرح بمذهبهم في معرفة الله _ تعالى _ فيقول: " أجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل ؛لأنه محدَث، والمحدَث لا يدل إلا على مثله "(2).

يرى الباحث أن هذا الرأي بعيدٌ عن الصواب وذلك؛ لأن هذا الرأي يعني أن بعض العلوم تكون موجودة في الإنسان منذ الولادة ذلك؛ لأن معرفة الله _ تعالى _ من العلوم ولكن هذا يناقض قول الله _ تعالى _: (μ ¶ ¸ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا)، [النحل: 78] فهذا نص على أننا نخرج من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً ومنها العلم بوجود الله _ تعالى _.

ثانياً: أن وجود الله _ تعالى _ أمر عقلي يحتاج إلى نظر وتفكر، وممن ذهب إلى هذا القول ثلاث فرق، وهي:

الفرقة الأولى: المعتزلة، وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار:" لأنه تعالى لا يعرف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر "(3).

ويعلل القاضي عبد الجبار سبب الحاجة إلى الدليل على وجود الله تعالى هو أننا لا نـــشاهد الله _ تعالى _ لذلك احتجنا إلى إقامة الدليل، أما ما نشاهده من الموجودات الأخرى فلا حاجة للـــدليل،

---

(1) ابن تيمية،مجموع الفتاوى،47/1.

(2) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص63.

(3) الهمذاني، شرح الأصول، ص39.

وفي هذا يقول: " فاعلم أنا لا نحتاج إلى إقامة الدليل له على وجود هذه الموجودات؛ لأنا نشاهدها ونعلم وجودها بالاضطرار، وليس كذلك القديم تعالى فإنا لا نشاهده عز وجل، فاحتجنا إلى إقامة الدليل عليه "[1].

الفرقة الثانية: الأشعرية، فيقول صاحب المقالات: " وكان يقول: إن المعرفة بالله _ تعالى _ طريقه الاكتساب، والنظر في آياته، والاستدلال عليه بأفعاله "[2].

ويشير السنوسي إلى هذا المعنى فيعنون في عقيدته الوسطى بقوله: " باب إقامة البرهان القاطع على وجود الله _ تعالى _ وبيان احتياج العالم إليه جل وعز "[3].

هذا الرأي هو الذي ذهب إليه جمهور علماء السنة: إن معرفة الله _ تعالى _ على الأغلب نظرية، أي يحتاج الإنسان إلى نظر لاكتسابها، وهذ الرأي في اعتقادي هو الصواب.

الفرقة الثالثة: الفلاسفة، حيث يقول التلمساني عند شرحه لمعالم الرازي: " واعتماد الفلاسفة في إثبات العلم بواجب الوجود على طريق الإمكان "[4].

ومن المعلوم أن دليل الإمكان من الأدلة العقلية في إثبات وجود الله _ سبحانه وتعالى _.

وإن كنا نوافق الفلاسفة في أن وجود الله _ تعالى _ من الأمور التي تحتاج إلى نظر واستدلال إلا أننا لسنا معهم في أن دليل الإمكان من الأدلة المعتبرة في إثبات وجود الله _ تعالى _ ذلك ؛لأن دليل الإمكان يلزم منه أن العلم بحدوث العالم يتأخر عن العلم بإثبات الصانع وذلك على خلاف دليل الحدوث الذي استخدمه أهل السنة حيث إن العلم بحدوث العالم يتقدم على العلم بوجود الصانع الحكيم.

ثالثاً: أن وجود الله _ تعالى _ أمر يثبت بالسمع وهو قول الحشوية فقد جاء بمجلة الرسالة مانصه « ويبدأ ابن رشد بتسفيه رأي الحشوية فيما ذهبوا إليه من ضرورة الإيمان بوجود الله إيماناً أعمى أساسه السمع والطاعة، والاكتفاء بالنقل ونصوص الدين دون أي تفكير من جانب العقل، فإننا إذا تأملنا القرآن ذاته وجدناه يحثنا بين حين وآخر على التأمل والتدبر والإعتبار، ولا وجه لمعترض أن يقول إنه لو كان الإيمان بوجود الله لا يصح إلا بالدليل العقلي لكان على النبي وهو يعرف العقيدة أن يقيم على ذلك الدليل؛ لأن العرب حتى في جاهليتهم يؤمنون بوجود إله،

---

(1) الهمذاني، شرح الأصول الخمسة، ص177.

(2) ابن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص11.

(3) السنوسي، العقيدة الوسطى وشرحها، ص111.

(4) التلمساني، شرح معالم أصول الدين، ص160.

فلا حاجة به إلى أن يقيم الدليل على شيء مسلم به كمن يستجمع قوته ليدفع باباً مفتوحاً على حد تشبيه الغزالي نفسه، أو أن يتصدى للبرهنة على بديهية بينة بنفسها قد لا يزيدها البرهان إلا تعقيداً وغموضاً خصوصاً عند البسطاء والسذج، وهم الجمهور الذي خاطبه الشارع فهذا موقف الحشوية الجامدة الغريب. »[1].

وهذا الرأي غير مقبول ألبتة وما قال الحشوية بهذا الرأي إلا لأن مذهبهم قائم على التجسيم المحض فلو قالوا بخلاف ذلك وهو معرفة الله _ تعالى _ بالعقل والنظر لانهدم مذهبهم .

المطلب الثاني: آراء المفسرين حول الآية الكريمة

أولاً: مدرسة السلف

لقد نبه القرآن الكريم كل من أنكر وجود الصانع الحكيم بأن ينظر في هذا العالم من السموات والأرض مما حواه من عجائب وبدائع الصنع، فيشير ابن جرير الطبري إلى هذا المعنى عند تفسيره للآية السابقة، حيث يقول: « يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله، في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض، وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك، ويعتبروا به»[2].

ويذهب الحافظ ابن كثير إلى أن النظر في هذا العالم يوصل إلى خالقه الذي لا نظير ولا شبيه له، فيقول: « يقول تعالى: {أولم ينظروا} -هؤلاء المكذبون بآياتنا- في ملك الله وسلطانه في السماوات والأرض، وفيما خلق الله من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به »[3].

ثانياً: مدرسة الأشاعرة

في حين نجد أن الرازي يقرر أن النظر في الكون فيه أدلة كثيرة جدا على وجود الصانع الحكيم، فيقول:« واعلم أنّ دلائل ملكوت السموات والأرض على وجود الصانع الحكيم القديم كثيرة »[4].

إن الرازي يصرح بأن هذا الكون فيه أدلة كثيرة تدلنا عند صحيح النظر فيه على وجود الله _ تعالى _ ، ولا أعظم من النظر في هذا الكون من جهة العناية به.

ويشير الماتريدي إلى دليل العناية فيقول: " وأصل ذلك أنه لا يعاين منه شيء إلا وفيه حكمة عجيبة ودلالة بديعة مما يعجز الحكماء عن إدراك مائيته[5] وكيفية خروجه على ما خرج، وعَلم

(1) الزيات،مجلة الرسالة42/867.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 290/13.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 517/3.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 420/15.

(5) المقصود بالمائية: ما به الشيء هو هو، وتطلق غالباً على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان

كل أحد منهم بقصور عقله – على ما عنده من الحكمة والعلم – عن إدراك كنه ذلك، ففـــي هــذه الضرورة وغيرها دلالة حكمة مبدعها وخالقها، ولا قوة إلا بالله " [(1)].

ويلاحظ أن هذا الدليل يقوم على النظر في هذا العالم، فعند النظر فيه، يلاحظ أن هذا العالم يبهر الألباب مما فيه من الحكم البديعة والصنعة العجيبة، التي تدلنا دلالة واضحة على عظمة من صنعها وأبدعها.

ثالثاً: مدرسة المعتزلة

ونجد أن صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآية يبين أن الآية تحث على النظــر فــي الملكــوت للاستدلال به على عظيم الصنعة التي تدلنا على عظم صانعها ووجوده، فيقول: « أولم ينظــروا نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض فيما تدلان عليه من عظم الملك »[(2)].

المبحث الثاني

قول الله تعالى: (X Y Z] \ [ ] ' _ ` a b c d e f)، [يونس: 101] وإثبات الصانع.

المطلب الأول: تفسير ابن جرير وأبي حيان وابن كثير للآية الكريمة

فعند تفسير ابن جرير لهذه الآية يقول: « انظروا، أيها القوم، ماذا في السموات... مــن شمــسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، ونزول الغيث بأرزاق العباد من ســحابها وفــي الأرض مــن جبالها، وتصدعها بنباتها، وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلــك لكــم إن عقلــتم وتدبرتم موعظة ومعتبراً »[(3)].

فيستدل ابن جرير بالشمس والقمر واختلاف الليل والنهار ونزول الغيث وتوزيع الأرزاق وما في هذه الأشياء من عناية فائقة لينتفع بها الإنسان أكبر دليل أن هناك من أوجدها على ما هي عليــه من هذه العناية؛ لأنه لا يعقل أن تخرج على ما خرجت عليه بلا مدبر وصانع أوجدها.

ويقول أبو حيان عند تفسيره لهذه الآية: «أمر تعالى بالفكر فيما أودعــه تعــالى فــي الــسموات والأرض، إذ السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته، ففي العالم العلوي في حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب، وما يختص بذلك من المنافع والفوائد، وفي العالم السفلي في أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان، وخصوصا حال الإنسان. وكثيرا مــا ذكــر الله

الناطق / انظر: الجرجاني، التعريفات، ص195.

(1) الماتريدي، التوحيد،ص84.

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 182/2.

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 231/5، بتصرف.

تعالى في كتابه الحض على الفكر في مخلوقاته تعالى»[1].

نلاحظ أن أبا حيان أشار إلى ثلاث نقاط في كلامه السابق، وهي:

أولاً: أن الله _ تعالى _ قد أمر الخلق بأن يتفكروا في خلق السماوات والأرض، فيشير هنا إلى عبادة التفكر وهي من أعظم العبادات؛ لأنها توصلنا إلى معرفة وجود المولى سبحانه وتعالى.

ثانياً: أن من طرق وسبل معرفة وجود الله _ تبارك وتعالى _ النظر في مخلوقات الله _ تعالى _ التي أوجدها لتدلنا على موجدها.

ثالثاً: أن هذه المخلوقات التي خلقها المولى _ تبارك وتعالى _ على درجة عالية من الإتقان والعناية بها وتمام صنعتها بالإضافة لملائمتها وموافقتها لأغراض الإنسان لتدلنا على عظم خالقها.

ونجد أن ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية يقول: « يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب. وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه»[2].

بالنظر لكلام الحافظ ابن كثير فإنه يصرح بدليل العناية في مخلوقات هذا الكون من السموات والأرض فإنه ما من مخلوق إلا وركب بما ركب عليه ليحقق النفع لهذا الإنسان وهذا إن دل على شيء فإنما يدلنا بلا أدنى ريب أنه لا بد من واضع وضع هذه العناية في تلك المخلوقات ويستحيل عقلاً أن تكون تلك العناية في تلك المخلوقات وجدت بلا موجد.

المطلب الثاني: تفسير النسفي والزمخشري للآية الكريمة

ونجد أن النسفي عند تفسيره لهذه الآية يصرح بأنها تدلنا على أن الله _ تعالى _ قد حث على النظر في الكون للوقوف على عناية الله _ تبارك وتعالى _ فيه ليدلنا على وجود من أوجد هذه

(1) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 109/6.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 298/4.

العناية عند خلقه لها، فيقول: « {قل انظروا}: نظر استدلال واعتبار، {ماذا في السماوات والأرض}: من الآيات والعبر؛ باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار، {وما تغني الآيات}: ما نافية، {والنذر}: والرسل المنذرون أو الإنذارات، {عن قوم لا يؤمنون}: لا يتوقع إيمانهم؛ وهم الذين لا يعقلون »[1].

ويشير الزمخشري من المعتزلة عند تفسيره لهذه الآية أن الله _ تعالى _ أمر بالنظر في الآيات والعبر التي نثرها الله _ سبحانه وتعالى _ في الكون لتوصل بها إلى الإيمان بمن خلقها، فيقول: « {ماذا في السموات والأرض} من الآيات والعبر {وما تغنى الآيات والنذر} والرسل المنذرون أو الإنذارات، {عن قوم لا يؤمنون}: لا يتوقع إيمانهم؛ وهم الذين لا يعقلون »[2].

ويستدل الإمام الأكبر أبو حنيفة على دليل العناية بخروج الجنين من بطن أمه على ما هو عليه من صورة حسنة بديعة وهذا الدليل يدلنا على إثبات الصانع للعالم [3].

إن أبا حنيفة النعمان يشير إلى دليل العناية بخروج الطفل من بطن أمه وما يتبع ذلك من أحوال على إثبات وجود الله _ تعالى _ فمن الذي أخرج هذا الجنين من بطن أمه بهذه العناية فقد خرج من مكان ضيق ومع ذلك لم يتأثر وهدي إلى لبن أمه دون تعليم سابق وإذا ما تألم من جزء معين من بدنه أشار إلى ذلك بحركات تدلنا على هذا الألم فمن هداه إلى هذه الحركات، فهذه صور قليلة من كثير من عناية المولى الكريم بهذا الجنين.

المبحث الثالث

قول الله تعالى : (h i j k l m n o p q r s t u y x w y { | } ~) ، [غافر: 64] وإثبات وجود الله _ تعالى _.

المطلب الأول: تفسير ابن جرير وابن كثير للآية الكريمة

نجد أن ابن جرير عند تفسيره للآية السابقة يقول: « (الذي جعل لكم الأرض): التي أنتم على ظهرها سكان، (قراراً): تستقرون عليها، وتسكنون فوقها، (والسماء بناء): بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم، (وصوركم فأحسن صوركم) يقول: وخلقكم فأحسن خلقكم، (ورزقكم من الطيبات) يقول: ورزقكم من حلال الرزق، ولذيذات المطاعم

---

(1) النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، 43/2.

(2) الزمخشري، الكشاف، 354/2.

(3) انظر: البياضي، إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين، ص67.

والمشارب. وقوله: (ذلكم الله ربكم) يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله » [1].

ان ابن جرير - رحمه الله – ذكر أمثلة من مخلوقات الله _ تعالى _ وبين وجه العناية بها، حيث ذكر الأرض وكيف كانت عناية الله _ تعالى _ بأن جعلها قراراً لنسكن عليها، وكيف جعل السماء بناءً بغير عمد لتحقيق مصالح الخلق، وتحدث عن عناية المولى _ تبارك وتعالى _ في الأرزاق الطيبة ولولا طيبها لما انتفع بها الخلق وغير ذلك مما أشار إليه رحمه الله _ تعالى _ لتوصلنا الآية إلى أن وجود هذه المخلوقات بهذه العناية دليل على أن وجودها على هذه الحال لا بد له من موجد عالم حكيم.

ويذكر لنا ابن كثير أمثلة أخرى تظهر فيها عناية الله بهذه المخلوقات لينتفع بها الخلق وليتعرفوا على ربهم من خلال نظرهم فيها، فعند تفسيره لنفس الآية السابقة: « يقول تعالى ممتناً على خلقه، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار، وجعل النهار مبصراً؛ أي: مضيئاً؛ ليتصرفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار، والتمكن من الصناعات »[2].

إن ابن كثير يظهر مدى عناية الله _ تعالى _ في خلقه الليل والنهار وملائمة ذلك للخلق لينظر الإنسان بعين الاعتبار أن هذه الملائمة لا يمكن أن تصدر إلا عن إله موجود عظيم.

المطلب الثاني: وقفة مع الرازي والزمخشري، وفيه أمران، وهما

الأمر الأول: استدلال الرازي بقوله الله تعالى:﴿ 3 4 5 6 * 8 9 : ; ﴾ [الطارق: 5-6]، على إثبات وجود الله _ تعالى _.

فنجد أن الرازي يقول: « المسألة الخامسة: قد بينا في مواضع من هذا الكتاب أن دلالة تولد الإنسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من أظهر الدلائل، لوجوه:

أحدها: أن التركيبات العجيبة في بدن الإنسان أكثر، فيكون تولده عن المادة البسيطة أدل على القادر المختار.

وثانيها: أن اطلاع الإنسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعه على أحوال غيره، فلا جرم كانت هذه الدلالة أتم.

وثالثها: أن مشاهدة الإنسان لهذه الأحوال في أولاده وأولاد سائر الحيوانات دائمة، فكان الاستدلال

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 409/21

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،155/7.

به على الصانع المختار أقوى »[1].

نلاحظ هنا استدلال الرازي بتولد الإنسان عن النطفة دليل على وجود الله _ تعالى _ من حيث التركيب والإتقان العجيب في بدن الإنسان مما يحار به أصحاب الألباب.

ورغم أن هذه تراكيب عجيبة وعظيمة إلا أنها قد تولدت عن نطفة بسيطة فلو أن الأمر متروك لهذه النطفة لنتج عن هذه النطفة البسيطة بدن بسيط فلما رأينا أنه نتج عن هذه النطفة العجيبة أمور في غاية الإتقان من تراكيب معقدة عجيبة أدركنا أنها لم تكن بنفسها بل بموجد أوجدها ؛لأن البسيط ينتج عنه أمر بسيط والمركب ينتج عنه أمر مركب فلما نتج عن البسيط أمر مركب كان هناك موجد انتج عن البسيط أمر مركب ألا وهو الله _ تعالى _ وهذا دليل على وجوده سبحانه وتعالى وأنه ليس بعدم؛ لأن العدم لا ينتج عنه موجود ففاقد الشيء لا يعطيه.

الأمر الثاني: تفسير الزمخشري للآية الكريمة

يبين الزمخشري أن النظر والتفكر في خلق الأرض والسماء وتصوير الإنسان في أحسن صورة من جهة أن فاعل هذه الأشياء متميز بفعلها والعناية بهذه الأفعال كاشفة على وجود من أخرجها لاستحالة خروجها بهذه العناية بلا مخرج لها، فيقول: « هذه أيضاً دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة، وهي أنه جعل الأرض مستقراً (والسماء بناءً) ؛أي قبة»[2]

المبحث الرابع

قول الله تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ ´ µ ¶ ¸ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)، [الزخرف:10] وإثبات وجود الله _ تعالى _.

المطلب الأول: تفسير الطبري للآية الكريمة

إن النظر في خلق السموات والأرض وما فيهما من عناية فائقة وكذلك النظر في الأرض وكيف أنها جعلت كالمهد وسهلت فيها الطرق لينتفع منها الإنسان بحيث لو خرجت على خلاف ذلك لما انتفع منها الإنسان، فخلق ما ذكر بهذه العناية دليل على أن هناك من خلقها، وحول هذا المعنى يقول الطبري: « يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات السبع والأرضين، فأحدثهن وأنشأهن؟ ليقولن: خلقهن العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء (الذي جعل لكم الأرض مهداً) يقول: الذي مهد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها باقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم (وجعل لكم فيها سبلاً) يقول: وسهل لكم فيها طرقاً تتطرقونها من بلدة إلى بلدة، لمعاشكم

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير،120/31.

(2) الزمخشري،الكشاف،181/4.

ومتاجركم »[1]

المطلب الثاني: تفسير الرازي والزمخشري للآية الكريمة

ونجد أن الرازي يستدل بدليل العناية في خلق الأرض ليصل إلى إثبات وجود الله _ سبحانه وتعالى _ فعند تفسيره لنفس الآية السابقة يقول: « قوله الذي جعل لكم الأرض مهداً وقد ذكرنا في هذا الكتاب أن كون الأرض مهداً إنما حصل لأجل كونها واقفة ساكنة ولأجل كونها موصوفة بصفات مخصوصة باعتبارها يمكن الانتفاع بها في الزراعة وبناء الأبنية في كونها ساترة لعيوب الأحياء والأموات، ولما كان المهد موضع الراحة للصبي جعل الأرض مهدا لكثرة ما فيها من الراحات... قوله وجعل لكم فيها سبلا والمقصود أن انتفاع الناس إنما يكمل إذا قدر كل أحد أن يذهب من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم، ولولا أن الله _ تعالى _ هيأ تلك السبل ووضع عليها علامات مخصوصة وإلا لما حصل هذا الانتفاع »[2].

لقد أشار الرازي في كلامه السابق أن الأرض ساكنة واقفة، ولكننا لسنا معه فيما ذهب إليه، فقد ثبت بالعلم الحديث أن الأرض متحركة ، حيث يذكر التويجري ما نصه « (حركة الأرض والشمس) قال الله _ تبارك وتعالى _: { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } ،

اعتبر اكتشاف حركة الأرض بدورانها حول نفسها وحول الشمس من أروع ما اكتشفه علم الفلك، وقد سبق القرآن هذا العلم بما يزيد على ألف عام ولم يصل العلم الحديث إلى ما قرره القرآن من حركة الشمس إلا أخيرا، واعتبر العلم اكتشاف هذه الحركة حدثا جديدا في كتاب الدنيا، لقد جمعت الآية الشريفة علما اعتبر اكتشافه في العصر الحديث نصرا للعلم والعلماء، إذ تقول الآية أن المجموعة الشمسية وما حولها تتحرك في الفلك وأن الشمس تجري إلى بعيد فيه وليس إلى قريب إذ لا ينبغي أن تلحق القمر بالنزول إلى فلكه وأنها تجري لمستقرها. »[3].

ونجد أن صاحب (النكت المفيدة) يشير إلى دليل العناية، فيقول: " الاعتبار والتفكر والاستبصار والتذكر، كلها متقاربة المعنى، والمراد بذلك النظر في الموجودات، وما اشتملت عليه من لطائف الصنع وعجائب الصفات، فيعلم بذلك ما يجب لخالقها وما يستحيل عليه، وبحسب الفكر في ذلك

---

(1) الطبري، تفسير الطبري،63/25.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير،619/27، بتصرف.

(3) التويجري، ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق،ص94.

يتفاوت العارفون، إذ لا طريق لهم إلى العلم بالخالق – تعالى – إلا بالنظر فيها والاعتبار بها"[1].

إن النظر في هذا الكون من جهة عجائب الصنع الموجودة فيه والتي ما وضعت في هذه المخلوقات إلا لتدلنا على عناية المولى _ سبحانه وتعالى _ في هذه المخلوقات وما هذه العناية إلا لينتفع بها الأنسان ولتكون مسخرة له وهذا كله من هذه العجائب وذاك الإتقان والعناية ما جاءت على ما جاءت عليه إلا لتدلنا على أنها ما وضعت في هذه المخلوقات إلا لترشدنا إلى أن هناك من وضعها ورتبها بالصورة التي خرجت عليها؛ لأن العاقل عندما ينظر إلى صنعة متقنة عجيبة مسخرة لينتفع بها الإنسان يدرك لا محالة بأن هناك يدٌ صنعت هذه الصنعة بل إن هذه اليد عالمة بما تصنع؛ لأنه لولا علمها لما خرجت هذه الصنعة لتمام الفائدة منها، والله الموفق.

يظهر لنا الزمخشري العناية في الأرض؛ لأجل أن ينتفع بها الخلق وليستدل بها أصحاب الفطر والعقول السليمة على خالقها فعند تفسيره للآية السابقة يقول: « وفي الأرض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال: {الذي جعل لكم الأرض مهداً} وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها، وهي مجزأة: فمن سهل وجبل وبر وبحر: وقطع متجاورات: من صلبة ورخوة، وعذاة وسبخة، وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم، وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال: من الوحشي والإنسي والهوام، وغير ذلك للموقنين الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة، فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة، كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها، فازدادوا إيمانا مع إيمانهم، وإيقانا إلى إيقانهم»[2].

إن الزمخشري بين لنا صوراً كثيرة من صور العناية في الأرض فكون الأرض كالبساط حتى يستطيع الخلق أن يستقروا عليها وكونها منها السهل ومنها الجبل والبر والبحر واختلاف الطعوم والروائح للنبات مع أن الكل يسقى من ماء واحد.

وبنظري هذا أهم ما ذكره الزمخشري في تفسيره لهذه الآية من أدلة وجود الصانع؛ لأن الواحد منا ينظر إلى كثرة أنواع الثمار وكل نوع له طعم وريح يختلف عن النوع الآخر مع أن الكل قد سقي بنوع واحد من الماء وزرع في نوع واحد من الأرض ومع اتحاد الماء والأرض يفترض

---

(1) التونسي، النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة، ص79-80.

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،399/4.

أن تخرج النتيجة وهي الثمرة نوع واحد ومع ذلك تتعدد الطعوم والروائح لتلك الثمار فهذا يـــدل على أن هناك من أخرجها على ما خرجت عليه ألا وهو الله _ تعالى _ وهذا من أوضح الأدلــة على إثبات وجود الصانع الحكيم.

المبحث الخامس

قول الله تعالى :(! " # $ % & ' ( ) * + , - . /
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D
E F G H I J K) [البقرة:164]، وإثبات وجود الصانع.

المطلب الأول: تفسير أبي حيان والرازي للآية الكريمة

إن أبا حيان عندما تعرض لتفسير الآية السابقة تحدث عن عناية الله _ تعالى _ فـي خلـق السماوات والأرض والفلك التي تجري مع ذكره للعناية من إنزال الماء مــن الـسماء، فيقــول: « خلق السموات والأرض باختلاف الليل والنهار، وهو أمر ناشيء عن بعض الجواهر العلويـــة النيرة التي تضمنتها السموات. ثم أعقب ذلك بذكر الفلك، وهو معطوف على الليل والنهار، كأنـــه قال: واختلاف الفلك؛ أي ذهابها مرة كذا ومرة كذا على حسب ما تحركها المقادير الإلهية، وهـو أمر ناشيء عن بعض الأجرام السفلية الجامدة التي تضمنتها الأرض ثم أعقب ذلك بأمور اشترك فيها العالم العلوي والعالم السفلي، وهو إنزال الماء من السماء، ونشر ما كان دفينـــاً فــي الأرض بالأحياء. وجاء هذا المشترك مقدماً فيه السبب على المسبب، فلذلك أعقب بالفاء التي تــدل علـــى السبب عند بعضهم »[(1)].

يعتبر الرازي قوله تعالى في الآية السابقة مشتملاً على ثمانية أنواع من الدلائل علـــى وجـــود الله_ تبارك وتعالى _ ، حيث يقول: « اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولاً، وعلى توحيده وبراءته على الأضداد والأنداد ثانياً »[(2)].

المطلب الثاني: تفسير الزمخشري للآية الكريمة

ويشير الزمخشري إلى أن هذه الآية أشارت إلى دليل العناية في هذا العالم، فيقول:« (إن فـــي خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) واعتقابهما ؛لأن كل واحد منهما يعقب الآخر... (بما ينفع الناس) بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس...(وتصريف الرياح) فـــي مهابهـــا: قبولاً،ودبوراً،وجنوباً،وشمالاً، وفي أحوالها: حارة، وباردة، وعاصفة، ولينة، وعقماً، ولواقح،وقيل

---

(1) ابو حيان، البحر المحيط في التفسير، 83/2.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 152/4.

تارة بالرحمة، وتارة بالعذاب (والسحاب المسخر) سخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون؛ لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة »[1]

ويشير صاحب (المسايرة) إلى معنى في غاية الروعة وهو أن النظر في المخلوقات يوصلنا إلى الحكم بعجائبها ووقوفنا على عجائب هذه المخلوقات يوصلنا إلى الحكم بوجود من ركب هذه المخلوقات بهذه العجائب بل يزيد أمراً آخر وهو أن هذا الحكم اضطراري؛ أي لا يستطيع الإنسان أن يدفعه عنه فيقول: " وقد أرشد سبحانه إليه بآيات نحو قوله – تعالى -: ﴿ أفرءيتم النار التي تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ [الواقعة: 71، 72] فمن أدار نظره في عجائب تلك المذكورات، اضطره إلى الحكم، بأن هذه الأمور، مع هذا الترتيب المحكم الغريب، لا يستغني كل عن صانع أوجده وحكيم رتبه، وعلى هذا درجت كل العقلاء إلا من لا عبرة بمكابرته "[2].

المبحث السادس

قول الله تعالى: (x y z } | {) [الغاشية: 17]، وإثبات وجود _ الله تعالى _.

المطلب الأول: تفسير القرطبي وابن كثير للآية الكريمة

من الأمثلة التي نبه الله _ تعالى _ وأرشدنا إلى عنايته بها لتدلنا على وجود من جعل هذه العناية بها الإبل، وإنما ذكرها ربنا _ سبحانه وتعالى _ ؛ لأن العرب الذين نزل عليهم القرآن كانت الإبل أمام أعينهم ومن بيئتهم فيكون المثال آكد لمن أراد أن يعتبر، فنجد أن القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: (x y z } | {) [الغاشية: 17]، يقول: « ذكر الإبل أولا؛ لأنها كثيرة في العرب، ولم يروا الفيلة، فنبههم جل ثناؤه على عظيم من خلقه، قد ذلله للصغير، يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقيل حمله، وليس ذلك في شي من الحيوان غيره. فأراهم عظيما من خلقه، مسخرا لصغير من خلقه »[3].

ذكر القرطبي جهة العناية في الإبل فرغم قوة الإبل وعظمته إلا أن الصغير من المخلوقات يبركه ويحمل عليه الأثقال فإذا حمل عليه الثقل قام من جلوسه لينقل الأثقال إلى مكان آخر ولولا هذه العناية من الله _ تعالى _ في هذا المخلوق لما استطاع المخلوق الصغير الذي خلق الكون لأجله أن يستفيد من هذا المخلوق القوي الكبير، فلو ترك هذا المخلوق لطبعه ولقوة بدنه لما استطاع

---

(1) انظر:الزمخشري، الكشاف،236/1.

(2) ابن أبي شريف، المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، ص27- 28.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،34/20.

الإنسان الانتفاع به فلما رأينا أن هذا المخلوق خالف طبعه وقوة بدنه أيقنا أن هناك مـــن ســـخره ووضع تلك العناية الفائقة به.

ويشير ابن كثير عند تفسيره لنفس الآية السابقة إلى المعنى الذي أشار إليه القرطبي والزمخشري فيقول: « يقول تعالى آمرا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: {أفلا ينظـــرون إلى الإبل كيف خلقت}؟ فإنها خلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل، وينتفع بوبرها، ويـــشرب لبنهـــا. ونبهـــوا بذلك؛ لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل»[1].

لقد حثنا الله _ تبارك وتعالى _ على النظر في المخلوقات لننظر بعين الإعتبار إلى جهة العنايـــة الإلهية فيها؛ لنتوصل منها إلى من ركبها بهذه العناية فيكون بذلك إقرار بوجود الـــصانع الحكـــيم الذي أوجد هذه المخلوقات بهذه العناية ليتم المقصود من وجودها وهو تسخيرها لهـــذا الإنـــسان، ويذكر لنا ابن كثير حول هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: (* + , - . / * 1 2 3 4 5 6 7 8 9) [الجاثية:4]، ما يقرر ذلك فيقول: « يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات الأرض، وما فيهمـــا مـــن المخلوقـــات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحـــوش والـــسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبـــين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وما أنزل الله _ تعالى _ من السحاب من المطر فـــي وقـــت الحاجة إليه، وسماه رزقاً؛ لأن به يحصل الرزق، {فأحيا به الأرض بعد موتها}؛ أي: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء »[2].

المطلب الثاني: تفسير البيضاوي والقاسمي والزمخشري للآية الكريمة

يذكر البيضاوي وجوهاً كثيرة من عناية الله _ تعالى _ في الإبل، وكيف أن خلـــق الإبـــل بهـــذه العناية لأجل أن تتحقق منفعة الخلق منها، فيقول: « (أفلا ينظرون) نظر اعتبار (إلى الإبل كيـــف خلقت) خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال غلـــى الـــبلاد النائيـــة، فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لينـــوء بالأوقـــار، ترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز، مع ما لهـــا

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 387/8.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 264/7.

من منافع أخرى »[1]

ويفصل لنا القاسمي عند تفسيره للآية السابقة كثيراً من وجوه العناية في الإبل، فيقـول: « أفـلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين، إلى أنها كيف خلقت خلقـا بـديعا معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات، في عظم جثتها وشدة قوتهـا وعجيـب هيئتهـا اللائقة به تأتي ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة، كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الأثقـال الفادحـة إلى الأقطار النازحة. وفي صبرها على الجوع والعطش، حتى أن أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا. واكتفائها باليسير، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك، مما لا يكاد يرعـاه سـائر البهائم. وفي انقيادها مع ذلك الإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض، حيث يـستعملها في ذلك كيفما يشاء، ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير »[2].

نجد أن القاسمي هنا فصل في وجوه العناية في الإبل فذكر لنا خمسة وجوه، وهي:

الوجه الأول: القدرة على استعمال الإبل في أي وقت يشاؤه الإنسان.

الوجه الثاني: أن الله _ تعالى _ خلقها خلقاً مختلفاً عن باقي المخلوقات في عظـم جثتهـا وشـدة قوتها لأجل أن يتناسب هذا الخلق مع مهامها بحيث لو خلقت على غير هذه الهيئة لصعب عليهـا أن تقوم بمهامها.

الوجه الثالث: الأفعال الشاقة التي تقوم بها الإبل بحيث لو لم تقم الإبل بهذه الأفعال مـع حاجـة الإنسان إليها لأمسى الإنسان في حرج وعسر في حياته.

الوجه الرابع: عناية الله _ تعالى _ في صبر الإبل على الجوع والعطش، واكتفائها باليسير مـن الطعام والشراب، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك، وذلك لجعلها قـادرة علـى القيام بمهامها من السير في الصحراء التي يغلب فيها قلة الطعام والشراب.

الوجه الخامس: عناية الله تعالى في الإبل من جهة انقيادها مع كل إنسان في الحركـة والـسكون والبروك والنهوض، ويقودها من زمامها كل صغير وكبير.

ونجد أن الزمخشري عند تفسيره لنفس الآية السابقة ينبهنا إلى ما نبهنا عليه القرطبي في عنايـة الله _ تعالى _ في الإبل، حيث يقول: « أفلا ينظرون إلى الإبل نظر اعتبار كيف خلقـت خلقـاً عجيباً، دالاً على تقدير مقدر، شاهداً بتدبير مدبر، حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما حملت، وسخرها منقادة لكل من

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،308/5.

(2) القاسمي، محاسن التأويل، 462/9.

اقتادها بأزمتها: لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار»(1).

الخاتمة

في ختام البحث أوجز أهم النتائج في النقاط التالية :

النقطة الأولى: إن أهم مسألة من مسآئل علم التوحيد هي مسألة إثبات وجود الله _ تبارك وتعالى_، لذلك أهتم العلماء بهذه المسألة في كتبهم ومصنفاتهم.

النقطة الثانية: تعتبر مسألة إثبات وجود الله تعالى بالنسبة لباقي المسائل العقدية كالأصل بالنسبة للفرع.

النقطة الثالثة: من أنكر وجود الله _ تعالى _ لا تثبت عنده باقي مسائل العقائد، لذلك إذا أردنا أن نثبت مسائل العقائد مثل: البعث والحشر وأحوال الآخرة وأحكام النبوات وغيرها من القضايا العقدية لا بد أولاً أن نثبت وجود الله _ تعالى _.

النقطة الرابعة: يعتبر دليل العناية من أعظم الأدلة التي أرشدنا إليها الله _ سبحانه وتعالى _ للدلالة على وجوده.

النقطة الخامسة: لقد أشار المفسرون _ رحمهم الله تعالى _ على اختلاف مدارسهم العقدية من سلف وأشاعرة ومعتزلة إلى هذا الدليل واعتبروه من الأدلة المعتبرة في إثبات وجود الله _ تعالى_ وما ذلك إلا دليل على توافق هذه المدارس العقدية على هذا الدليل.

قائمة المراجع

* القرآن الكريم.

1- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط2، 1418هـ - 1997م.

2- البرمكي، محمد بن هبة، حدائق الفصول وجواهر العقول (علم الكلام على أصول أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى)، نظمها برسم السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمهم الله تعالى، طبع على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه، ط1، سنة 1327هـ.

3- البرنسي، أبو العباس أحمد، شرح عقيدة الغزالي الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفي 505هـ، علق عليه ووضع حواشيه السيد يوسف أحمد، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1427هـ -2006م.

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 744/4.

4- البوطي، محمد سعيد، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلــوق، بيــروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق- سورية، دار الفكر، ط8، 1982م.
5- البياضي، إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصــول الــدين، خــرج أحاديثه ووضع حواشيه أحمد فريد المزيدي، بيروت- لبنــان، دار الكتــب العلميــة، ط1، 1428هـ - 2007م.
6- البياضي، كمال الدين أحمد، الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة، حققــه الكــوثري، قــدم لــه وضبطه ووضع حواشيه محمد عبد الرحمن الشاغول، ويليه إشارات المرام مــن عبــارات الإمام، للإمام كمال الدين أحمد بن القاضي حسام الدين البياضي الحنفــي، حقــق نــصوصه وعلق عليه وضبطه يوسف عبد الرازق، درب الأتراك - الأزهر، المكتبة الأزهرية للتراث، دون ذكر رقم الطبعة، (د. ت).
7- البياضي، إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصــول الــدين، خــرج أحاديثه ووضع حواشيه أحمد فريد المزيدي، بيروت- لبنــان، دار الكتــب العلميــة، ط1، 1428هـ - 2007م.
8- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبــد الــرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.
9- التفتازاني، سعد الدين، شرح العلامة المحقق الحبر الفهامة المدقق سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية للإمام الهمام قدوة علماء الإسلام نجم الدين عمر النسفي نفــع الله بعلومهــا، مذيلاً بحاشية العلامة الخيالي ومهمشا بشرح العلامة العصام على الشرح المذكور، المكتبــة الأزهرية - القاهرة، دون ذكر رقم الطبعة، (د.ت).
10- التلمساني، عبد الله بن محمد، شرح معالم أصول الدين، تحقيق: نزار حمادي، دار مكتبــة المعارف، بيروت-لبنان، ط1، 1432هـ-2011م.
11- التونسي، محمد بن سلامة، النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة للشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (310هـ - 922م/386هـ - 1996م)، دراسة وتحقيق د. الميلودي بن جمعة والأستاذ الحبيب بن طاهر، بيروت- لبنان، مؤسسة المعارف، ط1، 1429هـ - 2008م.
12- التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود ، ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق تقريظ: الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، 1388هـ .
13- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، الرياض، ط1، 1423هـ-2002م.

14- الجرجاني، أبو الحسن علي، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط ابن أبي شريف، كمال الدين محمد، المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ - 2002م.

15- الجوزي، عبد الرحمن، دفع شبهة التشبيه، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1418هـ - 1998م.

16- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر، بيروت- لبنان، دار الفكر، 1414هـ - 1994م، دون ذكر رقم الطبعة.

17- حسن، حبيب الله، الإنسان والغيب، القاهرة - شارع مصر والسودان- حدائق القبة، مصر للخدمات العلمية، 2003م، دون ذكر رقم الطبعة.

18- حسن، حبيب الله، توضيح المراد من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي (القطب الثاني في الصفات)، دون ذكر دار النشر ورقم الطبعة، (د.ت).

19- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط1، 11420هـ.

20- دائرة المعارف العثمانية، الرسائل السبعة في العقائد، حيدر أباد الدكن- الهند، ط3، 1400هـ - 1980م.

21- دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، دار القلم - الكويت، 1404هـ - 1984م، بدون ذكر رقم الطبعة.

22- الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي على أم البراهين، ضبط نصها وصححها عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ - 2001م.

23- الرازي، فخر الدين محمد، أصول الدين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر، المكتبة الأزهرية للتراث، دون ذكر الطبعة، (د.ت).

24- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ.

25- الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي– بيروت، ط3، 1407هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن

المنير الإسكندري (ت 683) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى].

26- الزيات، أحمد حسن(المتوفى: 1388هـ)، مجلة الرسالة،42/867، عدد الأعداد: 1025 عددا (على مدار 21 عاما)

27- السنندجي، عبد القادر، تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، مع حاشية المحاكمات للشيخ محمد وسيم الكردستاني (متن تهذيب الكلام للسعد التفتازاني)، القاهرة-مدينة نصر، دار البصائر، دون ذكر رقم الطبعة، (د.ت).

28- السنوسي، أبو عبد الله محمد، العقيدة الوسطى وشرحها، تحقيق السيد يوسف أحمد، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2006م- 1427هـ.

29- السنوسي، أبو عبد الله محمد، شرح العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد، تحقيق السيد يوسف أحمد، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2006م- 1427هـ.

30- السنوسي، أبو عبد الله محمد، شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، علق عليه الأستاذ سعيد فودة، عمان- الأردن، دار الرازي، ط1، 1427هـ - 2006م

31- ابن أبي شريف، كمال الدين محمد، المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ- 2002م.

32- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995م.

33- طاش زادة، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة 14 شارع الجمهورية بعابدين، دون ذكر رقم الطبعة، (د.ت).

34- طاش زادة، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دراسة بيوجرافية ببلومترية وكشافات للدكتور شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، العربي للنشر والتوزيع، 1993، (د.ت).

35- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

36- ابن فورك، محمد بن الحسن، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تحقيق أ. د. أحمد السايح، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ط2، 1427ه-2006م.

37- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ.

38- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

39- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.

40- الكلاباذي، محمد بن إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ط1، 1424هـ-2004م.

41- الماتريدي، أبو منصور محمد، التوحيد، تحقيق الدكتور بكر طوبال أوغلي والدكتور محمد آروشي، دار صادر - بيروت، مكتبة الإرشاد - استانبول، ط1، 1428هـ - 2007م.

42- الماتريدي، أبو منصور محمد، التوحيد، حققه وقدم له الدكتور فتح الله خليف، عاريا - لبنان، أنجزت المطبعة الكاثوليكية، طبع هذا الكتاب في التاسع والعشرين من شهر تموز 1982، دون ذكر رقم الطبعة.

43- النسفي، عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.